العدد الواحد والعشرون
2004

مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1372 من وفاة الرسول ﷺ الموافق لعام 2004 مسيحي

- من بلاغة الضمائر في القرآن الكريم
- الفكر الأندلسي والافتراضات الإيديولوجية للنهضة الأوربية
- من أعلام ليبيا (الشيخ أحمد البهلول)
- بصمات يهودية على حركة الاستشراق

دائرة المعارف العربيّة الإسلاميّة
مَتىٰ تُصْبحُ حَقِيقَةً مَلمُوسَةً

دكتور محمّد صلاح الدّين بن موسىٰ

سمعت كما سمع غيري أن لجاناً علمية منبثقة عن الجامعة العربية بدأت تشمر عن ساعد الجد كي تقدم للأمة العربية الإسلامية ما كانت ولا تزال تصبو إليه أعني دائرة معارف عامة شاملة أسوة بما هو لدى الدول الأوروبية المتحضرة، وحتى الآن رغم انقضاء القرن العشرين لا تزال كلما حَزَبَنا أمر واشتد بنا الحال وعرضت علينا معضلة لغوية أو علمية نرجع إلى دائرة المعارف الإسلامية البريطانية بترجمتها العربية المبتورة أو نعمد إلى دوائر معارف خاصة ذات مجهود فردي كدائرة القرن العشرين لفريد وجدي ودائرة معارف اليازجي أو دائرة معارف الشعب. . أو بعض من الموسوعات العلمية أو اللغوية قام بوضعها جماعات أو أفراد كالموسوعة اللغوية والطبية والفلكية. .

وقد ظهرت فكرة إعداد دائرة معارف عامة عربية إسلامية منذ أوائل عام

1950م عندما دعا المجمع العربي بدمشق إلى ذلك وكتب مذكرة قدمها إلى جامعة الدول العربية والتي بدورها عممتها على جميع الجامعات والهيئات العلمية في الوطن العربي. . .

ومع ذلك. . . ظل الحال كما هو أجزاء مترجمة من دائرة المعارف الإسلامية البريطانية ودوائر فردية ناقصة وغير كاملة ينقصها كثير من الدقة والعمق واختفاء هذه الدائرة العلمية للمعارف العامة ذات الشمولية والاتساع جعل مهمة المحققين والدارسين شاقة ولا سيما الذين لا يجيدون اللغة الإنكليزية ولولا ظهور بعض التآليف ذات الطابع الشخصي كما قلنا والتي كان بعضها يعتمد على سير الأشخاص والمدن والمهن، كالأعلام للزركلي ومعجم المؤلفين لرضا كحاله وسلسلة أطلس للنيهوم لما رأينا أي عمل أدبي أو فني أو اجتماعي ذا طابع تاريخي تراثي. . .

«ودائرة المعارف ذاكرة الأمة ـ كما يقول الدكتور علي القاسمي ومخزون ثقافتها ومسجل آدابها وفنونها وكنز علومها وأحد مقاييس تقدمها ومرجعها»[1].

دائرة المعارف تدل على النضوج الفكري في الثقافة والعلم والفن وهي كما قال الدكتور شكري خالد: كتاب ضخم يجمع معرفة العصر للأمة في[2] كل ميادينها مقسمة إلى أبسط جزيئاتها ومرتبة ترتيباً ألفبائيّاً.

ودوائر المعارف قد تكون شاملة عامة كدائرة المعارف الإسلامية البريطانية وقد تكون تعنى بعلم واحد كالرياضيات أو الفيزياء أو اللغات كما في الموسوعات المتخصصة التي تصدر في أمريكا وأوروبا ـ.

ودوائر المعارف عامة ـ تعالج المعرفة الإنسانية كافة دون تفريق بينها أو تفضيل لموضوع على آخر ـ وأقرب مثال لذلك دائرة المعارف البريطانية التي صدرت أول مرة في ثلاث مجلدات بين عامي 1768 و1771م ودائرة المعارف الفرنسية التي صدرت أول مرة في واحد وثلاثين مجلداً بين سنة 1880 و1902م

---

(1) من مقال له بعنوان غياب دائرة المعارف العربية/ نشر في جريدة تشرين السورية عام 1960.

(2) انظر كتابه الموسوعات العربية المعاصرة/ صفحة 230.

ودائرة المعارف الأميركية التي كانت عند صدورها في ستة عشر مجلداً بين سنتي 1903 و1904م.

وهناك دوائر معارف متخصصة كالموسوعة الإسلامية التي صدرت بأربعة مجلدات باللغة الألمانية في «لايدن» بين عامي 1923 و1924م وموسوعة لاروس الفلكية التي صدرت في مجلد واحد في لندن عام 1959م وموسوعة العلوم الحياتية التي صدرت في مجلد واحد بنيويورك عام 1966م.

وقد تصدر الموسوعة أو دائرة المعارف على شكل أجزاء يختص كل جزء بجانب من الجوانب التي تختص بها الموسوعة كالمجموعة التي أصدرها الاستاذ عبد العزيز ـ تتألف من عدة أقسام: قسم للفقه المالكي وقسم للطب والأطباء في المغرب وقسم للصحراء وقسم للهجات المغربية...

وتقسم دوائر المعارف من حيث حجمها إلى دوائر ذات مجلد واحد كدائرة معارف كولومبيا ودوائر ذات مجلدات متعددة كدائرة المعارف الإسلامية البريطانية ودائرة المعارف الإيطالية كذلك يمكن تقسيم الموسوعات أو دوائر المعارف وفق الغاية التي صدرت من أجلها إلى ثلاثة أقسام الأول موجه للطلاب والناشئين والثاني موجه لعامة الناس والثالث يخاطب المتخصصين.

العرب أسبق من غيرهم في كتابة الموسوعات

لقد دلت الحفريات التي قام بها بعض رجال البعثات الأثرية في العراق في منطقة بابل على وجود مكتبات عامة رتبت موادها ونظمت محتوياتها وفقاً لتصنيف محدد لأنماط المعرفة المختلفة، ويرى الباحث سرجين هوك/ أن الإغريق قد اقتبسوا فكرة المعلمة (الاسكيوبود بادي) من البابليين مع ما اقتبسوه منهم كالكتابة «الألفباء» وبعض النقوش الزخرفية.

ويرى الدكتور علي القاسمي[3]: أن كلمة سكيوبوديا: في اللغة اليونانية ذات مقطعين الأولى يعني الدائرة أو النظم والثاني يعنى المعرفة والعلم الشامل

(3) انظر كتابه بالفرنسية (اسكيوبود بادي بابل) غير مترجم إلى العربية.

ويضيف الدكتور قاسمي. ومن هنا جاءت الترجمة العربية (دائرة المعارف) التي ظهرت في آخر القرن التاسع عشر إفرنجي.

ولقد استعملت هذه الكلمة بهذا المعنى في كتابات المؤلفين الإغريق واللاتين في القرنين الأول والثاني الفرنجيين كما استعمله الباحث توماس اليون في اللغة الإنكليزية لأول مرة عام 1531م وعرفها: بأنها التعلم الذي يتسع لجميع العلوم الإنسانية والدراسات واستعملها الأديب الفرنسي رابليه عام 1532م ولكن هذه الكلمة لم تستخدم كعنوان لكتاب أو معجم في العصور القديمة والقرون الوسطى وعندما استعملت في القرن السادس عشر في عناوين بعض الكتب العلمية أو الفلسفية في أوروبا ـ فإنها كانت تشير إلى الأبحاث التربوية أو الفلسفية المتعلقة بالعلوم الإنسانية.

بعد هذا العرض السريع.. لظهور الموسوعات أو الدوائر العلمية في أوروبا والذي يشير إلى تأخر معرفة الغربيين للدوائر العلمية هذه المعرفة التي بدأت في القرن الخامس عشر أو القرن الرابع عشر إفرنجي.. ندرك بوضوح أن العرب سبقوا بقرون عديدة في التأليف الموسوعي، فقد أخذت الكتب الموسوعية بالظهور في اللغة العربية منذ القرن التاسع فمؤلفات الجاحظ كالحيوان والبيان والتبيين ومؤلفات ابن قتيبة كعيون الأخبار والعقد الفريد لابن عبد ربه ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ويتيمة الدهر للثعالبي وصبح الأعشى للقلقشندي وغير ذلك كثير من الكتب ذات الطابع الموسوعي والتي ظهرت في الشرق أو في الأندلس في العلوم الإنسانية والعلمية الطبية والتي تزدان بها المكتبة العربية ويفتخر بها التراث العربي الخالد.

فكتاب نهاية الأرب في فنون الأدب هو في الحقيقة دائرة معارف تقع في اثنين وثلاثين مجلداً وتنقسم إلى خمسة فنون رئيسية هي:

1 ـ الجغرافية.

2 ـ الإنسان.

3 ـ الحيوان.

4 ـ النبات.

5 ـ التاريخ.

وكل علم من هذه العلوم مقسم إلى خمسة أقسام وكل قسْم منها مقسم إلى أبواب وفصول ولم تقتصر المكتبة العربية على الكتب الموسوعيّة فقط وإنما ضمت المعاجم الموسوعية العامة منها والمتخصصة، فقد ألف ابن البيطار في أوائل القرن السابع الهجري كتاب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» التي ذكر فيه أسماء النباتات والحيوانات والمعادن التي نستخلص منها العقاقير والأدوية، معرفاً بها مشيراً إلى خصائصها ذاكراً لأسمائها في الملفات الأخرى وذلك طبقاً للترتيب الهجائي وذلك ليتيح للقارئ الرجوع إليها والعثور عليها..

وهكذا نرى أنه على الرغم من هذا التراث الموسوعي القيم فإنه من المؤسف حقاً أن يرى العرب في عصرهم الحاضر وفي نهضتهم الحديثة لم يتمكنوا من إصدار دائرة معارف عربية قومية تمثل شخصيتهم الثقافية إلى جانب العلوم الحديثة وترقى إلى مستوى دوائر المعارف الكبرى التي وضعتها الأمم المتطورة كدوائر المعارف المعاصرة مثل دائرة المعارف الإسلامية البريطانية أو دائرة المعارف الروسية أو الفرنسية وهي موسوعات حديثة وضعت لكل منها خطة قومية واشترك في كتابة موادها عدد كبير من أبرز علماء الأمة ومفكريها وقامت بتصنيفها وتوضيبها وإخراجها نخبة متخصصة على أحدث أسس تصنيف المعارف وترتيب المواد حتى يستطيع الباحث الوصول إلى ما يريد دون تعب أو عناء. والكتب العربية التي تحمل عنوان دائرة المعارف أو الموسوعة هي إما دوائر ناقصة لم تكتمل بعد أو مترجمة عن اللغات الأخرى أو قام بتأليفها شخص واحد ولم تتوفر لها المقومات الأساسية لدوائر المعارف الحديثة وأول دائرة معارف عربية حديثة هي دائرة المعارف التي وضعها المعلم بطرس البستاني في سنوات 1819 ـ 1895م وقد نشرت المجلدات الستة الأولى منها بين 1823ـ 1896م وقد توفي البستاني قبل أن يتم العمل الضخم الذي بدأ به فتابع العمل ابنه سليم البستاني بين عامي 1847 ـ 1884م ونشر المجلدين السابع سنة 1883 والثامن سنة 1884م وعندما توفي استأنف العمل ابنا المعلم بطرس البستاني

ونسيب البستاني ونشرا المجلد التاسع سنة 1887م العاشر سنة 1898م والحادي عشر سنة 1900م.

وقد حاول الأستاذ فؤاد البستاني[4] وهو حفيد المعلم بطرس البستاني استئناف العمل بمساعدة بعض المتخصصين ولكن عمله اقتصر على إعادة طبع الأجزاء الحادية عشر وهكذا ظلت هذه الموسوعة مبتورة ناقصة.

أما دائرة المعارف الأسلامية التي نشرت في مصر عام 1933م فهي مترجمة وناقصة في آن واحد فقد كانت في الأصل من وضع عدد من المستشرقين ونشرت في لايدن بهولندا بين عامي 1913/ 1944م باللغات الفرنسية والألمانية والإنكليزية وهي موسوعة متخصصة في تراث الأسلام وما يتصل به من علوم وفنون وتاريخ وآداب وقد كتب موادها متخصصون وذكرت المراجع عقب كل بحث وقد ترجمها محمد ثابت أفندي وأحمد نشتاوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس. وصدرت الترجمة في خمسة عشر مجلداً يحتوى كل مجلد على ستمائة صفحة وكان آخر حرف تناولته هو حرف العين[5].

أما دائرة القرن العشرين لفريد وجدي فقد صدرت أول الأمر في صورة كتاب بعنون العلوم واللغة ثم قام المؤلف بتوسيع كتابه وأصدره بعشرة مجلدات تحت عنوان دائرة معارف القرن العشرين، وعلى الرغم من أن هذه الدائرة كاملة من حيث الشكل أي أن جميع حروف الهجاء متمثلة فيها فإنها ناقصة من حيث المنهج والمضمون إذ لم يكن منهجها الأساسي منهج دائرة المعارف إذ هي في مقدمة الطبعة الأولى: إنَّها قاموس مطول وهي عمل فردي لم يشترك المتخصصون في كتابة موضوعاتها والشخص العادي مهما أوتي من العلم والمعرفة لا يستطيع أن يبرز في مختلف العلوم والفنون.

---

(4) وهو صاحب السلسلة الرائعة (الروائع) والتي غطى بها جميع العصر الجاهلي شعراً ونثراً وهي مطبوعة وفي متناول الجميع.

(5) حاولت لجنة الترجمة والتأليف والنشر إعادة طبعها وترجمة الأجزاء الباقية 1956م ولكن المشروع لم يدخل حيز التنفيذ وظلت الدائرة ناقصة حتى الآن.

أما الموسوعة العربية الميسرة التي نشرتها في مجلد واحد مؤسسة فرنكلن للطباعة والنشر في القاهرة عام 1965م بدعم مالي من مؤسسة فورد الأمريكية وأشرف عليها الأستاذ محمد شاكر غربال فهي مترجمة من موسوعة كولومبيا والتي أعدت موادها في جامعة كولكومبيا في نيويورك.

ولا ننس ـ ونحن في الحديث عن دوائر المعارف ـ دائرة المعارف الإسلامية فقد ترجم منها إلى العربية أربعة عشر مجلداً، قام بترجمتها لفيف من أساتذة جامعة القاهرة ولم تستكمل حتى الآن..

أما موسوعة (المعرفة) فهي ترجمة عربية موجزة لبعض دوائر المعارف الغربية المتخصصة وقد صدر الجزء الأول منها عام 1971 إفرنجي وقد صدرت في جنيف وترجمت إلى عدة لغات وتقع الترجمة العربية في إحدى وعشرين مجلداً وقد أشرف على اللجنة الدكتور محمود ابراهيم وقد زودت الترجمة بالرسوم والصور الملونة الطبيعية وضمت مقالات علمية وثقافية وقصص عن تطور الإنسان حضارياً وتكنولوجياً في مراحل التاريخ المختلفة، فأبوابها تضم التاريخ القديم والحديث والجغرافية وجسم الإنسان والنبات والحيوان الكيمياء والفيزياء والشخصيات العالمية ويشتمل المجلد الحادي والعشرين على فهرس عام للموسوعة..

وهكذا نرى أن دوائر المعارف والموسوعات الموجودة حالياً في المكتبة العربية ناقصة أو مترجمة عن الموسوعات الغربية أو نظرية لا تمثل الحضارة الإسلامية جميعها..

كل ذلك.. يدعونا أن نتساءل لماذا لم تصدر حتى الآن دائرة معارف عربية على الرغم من التوصيات المتتابعة من المؤتمرات العربية الثقافية واللجان العديدة التي كونتها الجامعة العربية لدراسة الفكرة وإدخالها إلى حيز التنفيذ.

إن حاجنا ماسة وصارخة إلى دائرة معارف إسلامية كبيرة تعبر عن الرسالات الثقافية التي حملتها الحضارة الإسلامية عبر العصور العربية الإسلامية الزاهرة وتقدم للقارئ العربي والغربي على السواء خلاصة التطور العلمي

والتكنولوجي القديم والحديث وتسهم في بناء ثقافة إسلامية متكاملة متنوعة من منطلق قومي وإنساني معاً.

إن دائرة المعارف العربية ـ إذا صدرت سيكون لها رسالتان:

إحداهما على صعيد المواطن العربي والأخرى على الصعيد العالمين، فدائرة المعارف العربية ستعبر عن شخصية الأمة العربية وذلك بصهرها للثقافات المتنوعة والمتنازعة فتصبح هذه الثقافات مصدر إغناء وإثراء لثقافتنا لا مبعث استلاب وتغريب كما أنها ستنمي لدى القارئ العربي وعياً علمياً لا لثقافته الأصلية فقط بل للثقافة العالمية المعاصرة وذلك بتقديم هذا التطور العلمي والتكنولوجي له بلسان عربي وعقل عربي أما على الصعيد العالمي فستبرز دائرة المعارف العربية الكبرى المنتظرة دور أمتنا وإسهاماتها في تقديم المعرفة البشرية وتطور الحضارة العالمية وستكون مرجعاً علمياً موثوقاً به لدوائر المعارف والموسوعات في الأمم الأخرى وللمثقفين منها الذين سيطلعون على الفكر العربي بأقلام عربية أمينة.

إن فكرة دائرة المعارف العربية ظهرت للوجود منذ عام 1964 إفرنجي عندما أوصى مؤتمر وزراء التربية والتعليم والمعارف بإنشائها وقد نوقشت الفكرة بدقة من قبل لجان متخصصة ووضعت لها الأسس والمناهج الخاصة بها ـ ولكنها مع ذلك لم تصدر حتى الآن للظروف السياسية والاقتصادية التي احاطت بالوطن العربي ولعدم نضوج الفكرة لدى المسؤولين عن الثقافة في البلاد العربية في ذلك الوقت، وقد درست الفكرة من جديد عام 1979 إفرنجي عندما أقرها المؤتمر الخامس لوزراء التربية والتعليم الذي عقد في تونس ووضع لها منهجاً مقترحاً ـ أعدته لجان متفرغة عن المؤتمر وتبنته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وأوصت بإنشاء مؤسسة خاصة خلال عشر سنوات؛ وعلى الرغم من انقضاء عشرين عاماً على تكوين اللجنة ـ لم نر أية بادرة حتى الآن ـ تبشر بظهور هذه الدائرة إلى حيز الوجود ـ وأملنا عظيم الآن في الدول العربية الحريصة على التراث العربي كالجماهيرية العظمى وسورية ومصر والكويت أن تعمل جاهدة لإنجاز هذا المشروع العظيم وتقديم دائرة المعارف العربية للعالم بشكل جيد

متكامل ولا سيما وقد أصبح في الجماهيرية مجلس علمي لغوي يرأسه دكتور مثقف مؤمن برسالة الثقافة العربية والتراث العربي الخالد.

وفيما يلي خطوط سريعة لمنهج دائرة المعارف العربية والذي وضعته اللجنة المنبثقة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

1 ـ ستكون دائرة المعارف العربية عامة شاملة مع عناية خاصة بالحضارة العربية الإسلامية وستكون من المراجع العلمية التي يستفيد منها المثقف في مطالعاته والمدرس في دروسه والطالب الجامعي في أبحاثه ولهذا فستتوفر بها الدقة في التعبير والوضوح في العرض والشمول في المادة.

2 ـ يقوم بكتابة مقالاتها التي سترتب ترتيباً ألفبائياً بحاثة من العرب يتوفر فيهم الاختصاص والخبرة ويتم اختيارهم بالأفضلية الأولى ويحدد لهم منهج ونمط في كتابة مقالاتهم التي ستذيل بالمراجع الرئيسية في الموضوع وبأسماء كتابها.

3 ـ يكون حجم الموسوعة ثلاثين مجلداً يخصص الأخير منها للفهارس وستكون من قياس 296 ـ 210 مم ويضم كل مجلد 1200 ـ 1300 كلمة ويتراوح عدد الموضوعات بين 12 و13 ألف موضوع كبير تتناول الموضوعات الشؤون العربية والثقافية قديماً وحديثاً كما يخصص للمواد العلمية المحايدة عدد من الموضوعات متماثل مع نظيره في دوائر المعارف العالمية وقد أوصت اللجنة بأن يكون موعد صدور الأجزاء العشرة الأول خلال ست سنوات وتكون عدد النسخ في الطبعة الأولى ثلاثين ألف نسخة لتغطية حاجة السوق العربية وتسديد النفقات.